

❖ الحوار من المنظور الإسلامي

✍ الدكتور/ محمد إبراهيم السامرائي.

أستاذ في كلية الشريعة - جامعة اليرموك -

الأردن

الإسلام ذلك الدين القويم الذي اختاره الله ﷻ للناس كافة، ومن أسرارِهِ أَنَّهُ يَحْمِلُ البشارة والإنذار ليصل بالناس إلى الحق بالطريق المعق للإيمان في تلك النفوس، والسؤال هو كيف يصل الناس إلى ذلك الطريق وكيف يتجهون إليها؟

خلاصة الجواب: إن الإسلام يريد للإنسان أَن يصل إلى القناعة المتولدة في الذات التي تركز على الحجة وتقوم على البرهان ضمن أطر الحوار، فكان لكل سؤال جواب ولكل معضلة حل، وما يواجه الإنسان في طريق إيمانه يجد حل أزمته بالرجوع إلى الإسلام ومنهج الشريعة لذا جعل الحوار الأساس والقاعدة في الوصول بالناس إلى الإيمان والالتزام.

الحقيقة الظاهرة الجليلة أَن هناك إيماناً وهدى يتبع ارتضاه الله ﷻ للناس، ومن هذا المفهوم وجد الحوار بأسلوب عملي في تفعيل حركة الدعوة من خلال سيرة النبي ﷺ لأنَّه هو الذي تولى مهمة التبليغ مع إيجاد القناعة وإحقاق الحق على ما وجد من البراهين، ولا بد من المنافذ المتحركة أمام الحواجز التي يضعها الخصوم أمام الدعوة، ويعلمنا القرآن الكريم أساليب أخرى مستمدة من حياة الأنبياء مع أهمهم على الأساس ذاته الذي تواصل به النبي ﷺ.

وموضوع الحوار من المنظور الإسلامي بشكل تفصيلي يعني لنا تناوله من المعنى اللغوي ومرادفاته ومن ثم ماذا نريد من الحوار؟ مفهوم الحوار من وجهات متعددة.

- مفهوم الحوار من منظور أممي.



- الحوار ومختلف الثقافات.
 - أهمية الحوار.
 - أهداف الحوار، خصائص الحوار.
 - فوائد الحوار.
 - الوسائل المتخذة في الحوار الناجح.
 - آثار الحوار الناجح.
- كل هذه المباحث وغيرها جعلتها مادة هذا البحث الذي سميته: "الحوار من منظور إسلامي"

الحوار من المنظور الإسلامي:

حوار: بالكسر، وحيرة، وحويرة معناه مراجعة النطق⁽¹⁾، وتجاوزوا: تراجعوا الكلام بينهم⁽²⁾.

فالحوار معناه: التراجع في الكلام بين طرفين، قال تعالى: ﴿والله يسمع تحاوركما﴾⁽³⁾. وأراد به معنى الخطاب أو التخاطب وهو على التغليب وأصله مراجعة الكلام تراجعكما الكلام⁽⁴⁾، وأحار عليه جوابه: أي رده، والمحاورة المجاورة والتجاوب⁽⁵⁾، ويؤدي هذا إلى أن كل طرف يلقي كلامه يعد جوابا لصاحبه كالأخذ والرد في الكلام. يوصلنا معنى الحوار اللغوي إلى شيء متولد، فالكلام الذي يدور بين اثنين على سبيل التفاهم، والوصول إلى الهدف المنشود يسمى الحوار وربما يتطور الحوار إلى طريق مسدود، وهذا يدخل من قبيل المجادلة لأجل الغلبة لا الإقناع، وقد يدخل في المجادلة الحسنة وهذا يرجع إلى معنى الحوار الموصل للإقناع كما قال تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾⁽⁶⁾.



ماذا يراد من الحوار؟

أريد للحوار أن يستعمل لغير معناه الأصلي والحقيقي، إذ نودي للحوار في عصرنا للمناقشة والطروحات مع بقاء كل متحاور على رأيه وكل مسألة أخذت كموضوع للحوار، ولا أخالي قد بلغت إن جزمتم بأن ذبوع هذا المصطلح في الأوساط والمنتديات هو الارتفاع بالفكر الهابط أو إخضاع الفكر الإسلامي للانتقاص.

إن مما لا شك فيه في الحوار هو إظهار محاسن الشريعة وإبقاء الصبغة الإلهية فيها كما ارتضاها الله ﷻ، وليس على حساب إرضاء الخصم، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾⁽⁷⁾. وإلا ما معنى الحضارات المختلفة لدى الأمم مقابل حضارة الإسلام والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾⁽⁸⁾. فمن هذا المنطلق يتحدد المسار الذي نريده، والقصد الذي نتجه إليه.

مفهوم الحوار من المنظور الإسلامي:

إن مجيء الدين الحنيف في جزيرة العرب يحمل معه ألواناً من الخطاب القرآني الذي يجر العقل الإنساني ويحاكيه إلى أعماله والتفكير في ملكوت الله وما يحيط بخلقه ليصل بالإنسان إلى الإذعان وصدق الإيمان بالله ووحدانيته وتقديره وإبداعه، والتدرج به بما يتناسب وتلك العقلية وتصورها.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾⁽⁹⁾.



هذه الآيات ومثيلاتها في القرآن الكريم، كانت داعية إلى إعمال العقل والتأمل في هذا الكون والموجودات، ليعنى بأهمية التعليم الموصل إلى العمل، وليرتقي المجتمع بالعقول النيرة، ويرغب في الاستزادة من العلم والتشوق إليه. فمن المعلوم أن الخطاب القرآني، والحوار فيه له أساليبه المتعددة، لذا نجد فيه الاستعمالات متعددة، إذ كل أسلوب له مدلوله وبما يصوره لنا من خلال الواقعة، فنجد كلمة الحوار لها استعمالات كلها تفيد وجود طرفين في الحوار يشتركان فيه، فتارة يكون في الخلاف والتنازع قال تعالى: ﴿والله يسمع تحاوركما﴾⁽¹⁰⁾، وتارة يستعمل بين متضادين، قال تعالى: ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً﴾⁽¹¹⁾، ليدل هذا الاستعمال على وجود طرف محق وآخر مبطل فوجود الحوار واستعماله ضرورة مشروعة ليصحح المفاهيم المنحرفة أو الخاطئة، ويردها إلى جادة الصواب، وربما يتوسع استعمال الحوار بطريقة مضافة مستتبطة من الجدل أو المجادلة قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾⁽¹²⁾.

والاستقراء لهذه الكلمة واستعمالها في القرآن، يفضي بنا إلى تناولها في كل المواضيع على التغليب لإظهار الحق الذي أراده الله عز وجل، ولهذا نجد أن القول حوار، والجدال حوار، وأنواع الخطاب حوار مفاده إظهار الحق ليعمل به، وليبصر الإنسان ليصل به إلى العمل السوي الموافق للشريعة الإسلامية.



الحوار والثقافات المختلفة:

إن الأمم المختلفة لكل منها ثقافة تمثلها، وتمثل خصوصيتها، ولا يوجد تشابه بللقدر الذي يجعلها منصهرة في بوتقة واحدة، ومن هذا المفهوم يكون الحوار مختلفاً باختلاف تلك الثقافات، ولعلنا نجد المستوى العقلي المنتسب لكل ثقافة مختلف عن غيره بحسب ثقافته، وللحوار مزية في إبراز الثقافة المراد الحديث عنها، ولذلك نجد كل نوع يرى أهله أعز من غيره. فيا ترى هل العقل الإنساني قادر على الوصول بالثقافة إلى الكمال؟ ثم النظر إلى نوع الثقافة، وهل هي واضحة؟ هل هي متميزة؟.

إن المستوى العقلي للإنسان الواعي هو إخضاع الثقافة للحوار البناء، وإلا فالصبغة الثقافية متدنية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (13).

أهمية الحوار:

إن الحوار ضرورة ملحة، بواسطته يمكن الوصول إلى الحقيقة وإظهار الحجة، وبواسطته نصل إلى الوسطية التي نادى بها الشريعة الإسلامية، ومعرفة المتحاور وما هي شخصيته، وماذا يريد من المتحاور، وما الذي سيتحقق من الحوار.

إن القرآن الكريم أوضح لنا أهمية الحوار الممتزج بالعقلية والفكر، لأنه موصل -ولاشك- إلى المعرفة الحقيقية بالخالق وبالوحدانية قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ



لَكَافِرُونَ»⁽¹⁴⁾. لا شك أن هذا مطلب مشروع موصل إلى العلم واليقين المطلق الذي بدأ من الجهد العقلي المتدرج كي يتسنى لهذا الإنسان أن يتعرف على ما يحيط به، وبالتأمل يصل إلى النتيجة الحتمية المشار إليها في الآية، ولا بد من السير وفق ضوابط وخطوات صحيحة وفاعلة لا يظهر جماها إلا بالسلوك والحوار.

وقول الحق سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽¹⁵⁾. هذه الآية تشير إلى الرسم الموضوع للحوار، والطريق الموضوع له، لا يخرج عنه، والبصيرة التي يتحلى بها المحاور بحيث تظهر الدعوة الإسلامية أنها تدعو للوصول إلى الله، وإذا كان غير ذلك يعلن المحاور أنه بريء ممن خرج عن هذا الطريق الميمون، وأهمية الحوار فيه زيادة قدرات الفرد على الإدراك والتسلح المعرفي مع القيام بالواجبات، كما أنها تنمي الذكاء ويزداد الجانب الفكري بحيث يكون أقل عرضة للمشكلات، وهذه الحصانة توقظه من الغفلة وترشده إلى الطريق السديد، مبعدة إياه عن الانحراف، ثم تولد مناعة تامة تجعل المحاور متمسكاً بالخير.

أهداف الحوار:

إن مما لا شك فيه أن الحوار وسيلة موصلة للمعلومة التي تحمل في طياتها وظيفة سامية ذات معانٍ تنطلق من مفهوم واحد هو العبودية، لتولد مواطناً صالحاً مهمته الإبقاء على صفة الجماعة والأمة، والمعتقد الذي ينهل منه، لأن النمو العقلي والمعرفي المستمد منها يعطي صبغة تلك الأمة، وإن القيم والمثل المنقولة لأفرادها منعكسة على سلوكهم من خلال العمل والتمسك بها.



الإسلام يرى من الحوار هدفاً سامياً فيه المحافظة على مفهوم التعبد من خلال إشاعة المثل العليا للمجتمع المسلم، لأن في هذه المثل نتاج هذا الدين، وتكوين الحضارة، وامتداداً للتاريخ، واستمرار الخير للإنسانية، وعلاقات الشعوب والأفراد، فالإبقاء عليها ونقلها يعد هدفاً أساسياً. وإذا كان كذلك وجدنا الحوار يعمل على إعداد الفرد للعمل الديني والأخروي قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾⁽¹⁶⁾ وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾⁽¹⁷⁾.

ويتولد منه هدف جديد هو إيجاد مواطن صالح، وهدف آخر، السلوك والسجعية التي تنقل صورة الإسلام المشرقة إلى الآخرين وإلى الأمم ليستقوا منها.

أهم الأهداف:

- 1- تربية الإحساس بالمسئولية.
- 2- بناء الفرد والجماعة.
- 3- مجاهدة الانحراف بكل أشكاله.
- 4- الإخلاص.

1- تربية الإحساس بالمسئولية:

إن إعداد المسلم للمشاركة في شؤون الأمة أمر له أهمية بالغة، مما ينمي هذا الواجب الحوار الهادف البناء لبيان سيادة روح الشورى، والتأسي بالنبي ﷺ حينما شاور أصحابه بما تراه الجماعة مناسباً لمصلحة الجماعة ونفع الأمة، وكان الحباب ابن المنذر رضي الله عنه من المحاور الهادف



الذي رأى المصلحة النافعة عند طرح المشورة في غزوة بدر، وأنفذ رسول الله ﷺ ما طرح، وكان خدمة لهذه الأمة.

إن غرس الشعور بفاعلية الفرد ومسئوليته مع تأييد الوحي لأهمية المشاركة والتشاور، يعد تأسيساً وتثبيتاً للمبدأ في مواجهة النتائج، فكان الحوار المنشود مهما خصوصاً إذا حقق هدفاً نبيلاً طيباً.

2- بناء الفرد والجماعة:

إن الأقوال والأفعال في الشريعة الإسلامية لا بد أن تكون متطابقة، فالفرد بقوله لا بد أن يكون مدعماً بفعله، ومن هنا أستطيع القول إن المحاور يجعل نصب عينيه أن ما يطرحه من موضوعات هي ترجمان أعماله.

إن ضوابط البناء المادي قائم على دراسة هندسية تحدد طبيعة المراد من ذلك البناء وتوفير المادة الأولية له، وبناء الشخص -الفرد- مادياً ومعنوياً يحتاج إلى سلامة التغذية وسلامة المعلومة، وقد جعل الاهتمام بالشق الثاني أشد لأن بناء الأمم والحضارات قائم عليه، فالاجتماع يعود الفرد على التحلي والتمسك بالقيم والعادات التي فرضت على أعضائه، وتنمية الشخصية جلبت مكسباً فريداً في الأمة المسلمة لا يوجد في غيرها لكونها تغذت على غذاء معرفي، وغذاء روحي، وكلما نضجت شخصية المحاور ارتقى المجتمع، ومن هنا فإن المحاور المسلم يظهر روح الإسلام ونظامه، وحقيقته وتميزه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً⁽¹⁸⁾.

ويرتكز بناء الفرد على أسس مهمة:

1- البيئة، العلم، القدوة، التقوى، الاستمداد من الشريعة الإسلامية.



ويرتكز بناء الجماعة على الأسس التالية بعد الثلاث الأولى:
الرفقة الحسنة، المنهج الدراسي، توحيد الجهود.

3- مجاهدة الانحراف:

الحوار الغيور يجب عليه التقيد بشروط الأمانة في تبليغ الدعوة والحوار الهادف الموصل إلى القناعات، ولا شك أن إبعاده عن الأمزجة أمر ملح، لأن الإنسان ومشاعره خاضع للرسالة الربانية. يقول النبي ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله" المخالفة انحراف، وتحكيم الهوى انحراف، واستعمال الرأي الفاسد انحراف، ومسايرة الباطل وأهل الباطل انحراف قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾⁽¹⁹⁾.

خصائص الحوار:

إن الناظر المتأمل للمعنى الذي يحمله الحوار من المنظور الإسلامي يجد المزايا المنشودة التي جعلته منفرداً عن غيره، لأنه يعبر عن معنى متكامل مؤسس على عقيدة الإسلام وثقافته، ومستمد من الوحي الإلهي، فكان طابعها ربانياً، فهذه الخصائص أكسبته حلاوة يتذوقها كل من عرفها، فأعطاهها حقها، ولا يجدها الباحث في غيرها، وأهم تلك الخصائص: 1- الوسطية، 2- الشمول، 3- التوازن، 4- الإيجابية، 5- الواقعية.

1- الوسطية:

لما كان الإسلام هو دين الوسط في كل شيء، كان الحوار منعكساً من تلك الخصيصة الراقية، فالحوار الهادف الذي يظهر السعي للآخرة لم ينس حثّه وتذكيره الإنسان الأخذ من الدنيا ذلك النصيب الموصل للآخرة، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾



ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين⁽²⁰⁾. فالتعبير القرآني المنقول بالحوار الموضح لهذه الصورة الجميلة يجعل الإنسان ملتزماً الوسط فلا إفراط ولا تفريط، ولأن منهج الإسلام حث على الوسطية، وآيات الوسطية كثيرة منها:

1- «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا»⁽²¹⁾.

2- «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً»⁽²²⁾.

2- الشمول:

للحوار المقنع المقبول إيجابية فاعلة لأنه يحمل في طياته كل ما يحتاجه الإنسان في التعرف عن المحيط والكون والموجد والواجد، والتعامل مع الكل. فإن كان الحوار عن الله: «قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد»⁽²³⁾.

وكما عرف الله سبحانه الإنسان عن حقيقته البشرية جعله مرتبطاً بالتوحيد على أن لا ينسى علاقته بالكون، فإن حقيقة الكون بخصائصه الكبرى بهذه الأجرام وهذا الاتساع إنما هو لله، قال تعالى: «يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون»⁽²⁴⁾. فالشريعة الغراء شملت جميع ما يلزم



الإنسان من معرفة نظرية وعملية، واضحة المعالم في التعامل مع جميع جوانب الوجود وواقع الحياة الاجتماعية.

3- التوازن:

الحديث عن الحوار وما يحمله من خصائص كالشمول نجد أن ذلك الشمول يملك توازناً منقطع النظير، فلا يطغى جانب على جانب ولا يقتصر على المشاهدة دون عالم الغيب، ولا بالجسد دون الروح والعقل، وهذا كله مستند إلى حقيقة الشريعة الإسلامية التي اختارها الله ﷻ، فالحوار هو الذي يوضح تلك المعاني ويظهر الخصائص، ويكون الحوار مبلغاً بأسلوب رقيق جميل لا يخرج عن الاستدلال بالقرآن والسنة، ولهذا فالحوار الموضوعي المتوازن من المنظور الإسلامي يحمل أمرين في غاية الأهمية:

1- تجرده من الهوى والتأثر بالبيئة الخاصة.

2- كونه مستمداً من الشريعة الإسلامية، ومبنياً على العلم التام الكامل.

4- الإيجابية:

عرفنا بعض الشيء عن التوازن الفاعل، وما للحوار المناسب من أثر في إظهار هذه الخصيصة، فالحوار يظهر محاسن الشريعة ومحاسن هذه الأمة التي ينتمي الحوار إليها، مستشعراً وملتمساً حقيقة المساواة بين جميع أفراد تلك الأمة فقله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾⁽²⁵⁾. نفهم منه المساواة إلا في التقوى، فهذه إيجابية.

وما يعرضه لنا القرآن الكريم من مختلف أنواع الحوار الذي يدور بين الأنبياء وأممهم إنما هو لا اكتمال التصور الذي يستقر في النفوس المتشوقة ليحرك مدلوله كل أشكال الصور العملية، ليطمئن المؤمن أن له فاعلية في الذات وفاعلية في الكون والمجتمع، وصورة



البناء المشرق من خلال حياة النبي ﷺ في تأسيسه الرجال وسعيه إلى تحقيق العدل ونشر الخير من خلاهم، فكان في كل واحد منهم قصة، حتى كان وجودهم منقطع النظر، وخيرهم عم أرجاء الدولة في شتى بقاعها بإفرازها الإمام العادل والدولة القائمة على العدل والصلاح بوجود المواطن الصالح.

5- الواقعية:

مما لا شك فيه أن الحوار من المنظور الإسلامي لا يحمل إلا واقع الكون حقيقة ووجوداً، وكذلك واقع الحياة من خير وشر. وواقع الإنسان من خلال وجوده في هذا الكون والحياة، فأصبح التعامل ممزوجاً بالواقعية التي يعرضها الحوار بتوجيه الله ﷻ من خلال القرآن الكريم والشريعة، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾⁽²⁶⁾.

ولو استعرضنا نموذج الإنسان من خلال الحوار البعيد عن الخيال وطبيعة التكليف، فمرة يفرح، وأخرى يحزن، مقيم ومسافر، صحيح وسقيم، فكانت شريعة الله حريصة كل الحرص على فرحه بما يرضي الله، مواسية له في حزنه وألمه، تعزم عليه في إقامته، ترفع عنه الحرج في سفره ومرضه، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾⁽²⁷⁾. وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾⁽²⁸⁾.

الوسائل المتخذة في الحوار الناجح:

الحوار المنشود الذي يحقق الأهداف موصل للغايات في الحياة الدنيا له وسائل موصلة إلى المقصود وتحصيله فكانت بطبيعتها شريفة سامية، وما يفعله الإنسان العاقل



بحواره في تحصيل المقصود هو اتخاذ الأساليب المتنوعة حيث يلجأ إلى التدرج والتنوع، ولو أخذنا مفردة من القرآن الكريم وكيف تعامل معها كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَحَافُونَ تُشَوِّزُهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾⁽²⁹⁾. وقد تكون المفردة الواقعة متشعبة ولها من الخاصية في اتخاذ الوسائل المختلفة المتنوعة في التعامل معها بتؤدة وتروّ والسنة مليئة بمثل هذا، فقصة بول الأعرابي⁽³⁰⁾ في المسجد وكيف كان الحوار على علاج الواقعة للأعرابي وللأمة بحيث ينت ما يصلح وما لا يصلح من الفعل والقول وحتى السلوك والذات.

1- قوله ﷺ: "دعوه ولا تزرموه" من هذا النص وسيلة ذاتية حفاظا عليه من الأذى حتى يتم بوله، ووسيلة أخرى حفاظا على المسجد من انتشار النجاسة، وأخرى تعليم أصحابه كيف يتعامل أحدهم مع الواقعة.

2- وقوله ﷺ: "أهريقوا عليه سجلا من ماء" وهذا المقطع يحوي وسائل مهمة كيف تزال النجاسة ومقدارها، وراحة الناس من الحرج وطهارة الموضع.

3- وقوله ﷺ: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقدر، إنما هي لذكر الله ﷻ، والصلاة، وقراءة القرآن".

هذه وسائل متنوعة مهمة مستنبطة من ذلك الحوار الرقيق من سيد المعلمين والمربين ﷺ، فبين ما يصلح وما لا يصلح مع إبقاء المكان المخصص للذكر وقراءة القرآن والصلاة فيه لا للقاذورات "فولد فيهم حياة مع وجود ما ورد عنه ﷺ بتعامله من أجل بناء أمة وشخصية حب إليها الأتقياء لتعاليم الشرع وربما ألخص الوسائل إلى ثلاث:

1- الوسائل الذاتية.



2- الوسائل العقلية.

3- الوسائل الاجتماعية.

1- الوسائل الذاتية:

إن التربية على العلم وبناء الشخصية وذات الإنسان أمر ملح، فمراقبة النفس وتربيتها، وبقظة الضمير تجعل الإنسان قوي الصلة بربه، والحوار المتسم بالمصادقية والقبول نابعا من ذات الإنسان المخاور، ولهذا كان التأسى بالنبي الكريم ﷺ قال الله تعالى: ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك﴾⁽³¹⁾ وقال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾⁽³²⁾ وقال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾⁽³³⁾.

وهذا يعني أن الفرد لا بد له من استقامة منهجه وحواره ويقبل منه شخصه وحواره، أن يهتم ببناء ذاته، وهذا مستمد من الأسوة برسول الله ﷺ.

2- الوسائل الاجتماعية:

الحوار الناجح يحتاج انطلاقة ناجحة، والانطلاقة الناجحة تحتاج بناء الذات من خلال تعايش الإنسان الحياة الاجتماعية بكل مؤسساتها، فاليات الصالح ركيزة، والرفقة الصالحة ركيزة، والمدرسة النموذجية، المسجد، وسائل الإعلام، كل هذه تسهم في إنجاب القدوة الصالحة وهذه تولد الحوار الناجح، لأن الإنسان الواعي تسليح بفضائل الأعمال وتحلى عن القبيح من الأفعال، والإنسان مطبوع على الاختلاط والمحاكاة، وهكذا قد أسهمت بوجود محاور صالح وحوار ناجح.

3- الوسائل العقلية:

لما كان العقل هبة الله للإنسان ونعمته المميزة له عن سائر المخلوقات، كان لا بد من إخضاعه للتدريب والتنمية والتمرين، فتقوية الملكة للتمييز بين الحق والباطل والهدى والضلال والرؤية الصادقة والبصيرة الثاقبة النافذة مع إمكان عرض الحقائق على قدر أهميتها، كان للحوار دور فاعل في إظهار طرق الخير والتفاعل معها ليرى الإنسان واقع الحياة المنشودة ومدى تحقق الفوائد المرجوة.

وعند الكلام على البصيرة ستكون محور الوسيلة العقلية حيث النظر الثاقب ومعرفة الأشياء وحسن تقديرها مع حسن عرض الحوار وعلميته، مع القدرة على التعرف عند التماور عن مهمات للداعية المخلص الذي يختار أدب الحوار وعلميته في وضوح الرؤية قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾⁽³⁴⁾ وقال تعالى: ﴿ادع إلى

سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾⁽³⁵⁾ ومن هنا فإن المماور تتكون له بصيرة يميز بها بين الأمور، قال تعالى: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾⁽³⁶⁾، ف رؤية المماور إلى سنن الماوار ومجريات الأمور مع إتقان في العمل دون صدام مع الوجود بكل مفرداته، من خلال هذا المنطلق تظهر حقيقة وجود الإنسان ومقدراته التي يجب عليه أن يسخرها في خدمة الشريعة والإسلام.

أثر المماور:

1- المؤمن الذي رزق حسن التماور يعلم أن كل جهد يبذله مخلصاً فيه مبتغياً مرضاة الله كان له رصيذاً في صحيفة عمله، ومن هذا المفهوم والمنطلق يجعله واسع البذل



كثير التضحية مولدة صفقة رابحة يحرس عليها المحاور ولدت في نفسه صدق العمل وصدق اللهجة وصدق الحوار واهم أثر هو الحوص على رضا الله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ فكانت هذه الآية رادعا قويا يجعل الإنسان حريصا على مساواة ظاهرة وباطنة والمحاور العامل ببذل أقصى طاقته وقدرته في سبيل الله ليكون عمله مصدر انطلاق لما سيقوله في كل حوار وعندها يوفق المسلم وتسدد خطاه بصدق العمل وصدق القول المرتبط بالإسلام الدال على كل فضيلة.

2- التدرج في تربية النفس وتهذيبها.

قال تعالى: ﴿ونفس وما سواها * فآلهمها فجورها وتقواها﴾⁽³⁷⁾، فجعل الله الفلاح في تزكية النفس المقبلة على خصال الخير والعمل الصالح حيث ينصرف الإنسان إلى الأخذ والعمل بتوطين النفس على حسن الأخذ بكل صفة إيجاب ونبذ صفة السلب الذي يعكس على الإنسان إظهار هذه الصفات في الحوار وعند التخاطب، والحوص على الصفقة الرابحة في انعكاس الشخصية المهذبة في زرع الخير أينما حلت وارتحلت فكان النفع فيها غير منقطع وكان الحوار أثره لا يزول.

مرتكزات الحوار:

إن اختيار مولدات الحوار بألفاظه المختلفة المستخدمة يمثل انتقاء المحاور للمادة العلمية التي يجعلها موضوع حوار فالموضوع المراد طرحه هو مجموعة من الأخبار أو المعلومات التي توصل إلى جمعها المحاور وبالتالي لا بد أن يركز على أسس وبديهيات ضرورية لبيان أهمية الحوار وجودته وواقعيته، وبعد استقراء وجدت أن الحوار يركز على خمس ركائز مترابطة هي:



1- المعرفة.

2- المعيار.

3- السلوك.

4- الوعي.

5- التفاعل.

1- المعرفة.

هذا اللفظ يدل على العلم الذي يحيط بالمحاور ووضوحه وعدم الجهل به، فالباحث الذي يتناول المادة العلمية حول تلك الموضوعات المراد طرحها، وهذا يعني الحاجة إلى الاكتساب، فالوقوف على حقائق الأشياء هو الغاية في الثبوت والوصول إلى المعرفة الصحيحة الثابتة، فالمعرفة تحوي شقين: الأول نظري والآخر عملي، فإذا ما قلنا إن الحديد يتمدد بالحرارة، ولنثبت صدق هذه النظرية نجد أن عمال سكك الحديد يتركون فواصل بين القضبان ليدل ذلك أن التمدد لا يؤثر على أصل الخط الحديدي. كلما كان الهدف هو العمل الصائب كان بناؤه على علم صحيح وإلا سيكون أشبه بالتخبط والفوضى، والعبث يبعد عن العمل المهادف المجدي.

2- المعيار:

إن وجود مقياس من خلاله نتعرف على طبيعة الحوار بحيث يكون خاضعا لضوابط مستقاة من المنهج الأصيل والأساس المنضبط، لأن فيه معالجة ما يعرض من طروحات ومحاور مختلفة مستمد من الإسلام وشريعته، والناظر في المحاور المختلفة يجد التشابه في الأمور المدوحة لأن الصبغة واحدة فريدة لم تتبدل، وهذا يوحد منهج المتحاورين لأن المعيار واحد.



3- السلوك:

السجايا الباطنة المنعكسة على ظاهر الإنسان يعد تطبيقا وتجسيدا للمعرفة الخاضعة للمعيار، فالحوار الصالح هو الذي يعكس حواره المنبعث من سجاياه، وسيكون أكثر نفعاً ووقعا كما دل على ذلك شخص النبي ﷺ، فالسلوك اللاواعي مرفوض وقول الله ﷻ: ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك﴾⁽³⁸⁾، معناه السلوك وهي آية تؤذن الواعي الرقيق الرفيق الذي يكون مصدر خير، ولنا في رسول الله ﷺ قدوة.

4- الوعي:

الحوار الذي يقوم معتمدا بمفرداته على المعرفة المكتسبة مع الوضوح في الرؤية والهدف يجعل الحوار منسجما والحاجة الماسة التي جعلته يأخذ دوره الصحيح، فأهل العلم والمعرفة هم المتأهلون للحوار والإرشاد قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾⁽³⁹⁾، فالوعي متفاوت في درجاته فكلما ارتقى يرتقي الحوار معه حتى يصل إلى درجة الكمال أو يقاربه إذا كان مستمدا من شريعة الإسلام، ولهذا استمداد الوعي لدى الحوار من الشريعة تجعله مرتبطا بها وعالما بالطريق الذي يسير عليه يجعله غير مبال بمن خالفه.

5- التفاعل:

لا مفر للمحاور الواعي أن يتعامل مع المحيط والكون بما فيه من أشياء على نحو مفصل حيث يكون في هذه الحياة الدنيا، بالجوانب الملتصقة المحيطة به على أغلب الأحيان فتكون التصورات عن الخالق والخلق والكون أمر لا بد منه، ولكي يكون إيجابيا بناء لا بد أن يعرف الوصول إلى التوحيد، ولا بد أن يعرف الحقوق ولا بد أن يستعمر هذه الأرض،



وكيف يتعايش مع بني الإنسان، فإن لم تكن ثمة ضوابط لا يكون توازن، ولا يكون وعي، ولا يكون تطبيق للعلم والعمل، ولا وجود للسلوك.

الخاتمة:

من خلال هذه المنافذ الإيجابية التي كانت منسجمة مع الحوار الهادف البناء من المنظور الإسلامي، لا بد من التركيز على جملة أمور كي تكون فاعلة ناجعة للحوار.

- 1- أهمية المحاور الناجح المنضبط.
- 2- أهمية الحوار الهادف الذي يصحح المفاهيم الخطأ ويثبت الصورة الحسنة.
- 3- أهمية الطرف الآخر المشترك في الحوار.
- 4- وجود الجدية للتقارب البناء كي لا يكون على حساب المنهج الرباني.
- 5- الآلية التي تدار بها المحاور الناجحة.
- 6- الأجواء اللازمة مع إبقاء صفة الثبات في المنهج والقيم.

المصادر

- 1- القرآن الكريم.
- 2- أصول الفكر التربوي في الإسلام، د. عباس محجوب، دار ابن الكثير، دمشق، ط1، 1987.
- 3- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البضاوي، دار الكتب العلمية، ط1، 1988.
- 4- الحوار في القرآن الكريم، د. محمد حسين فضل الله، دار التعارف، بيروت، ط5، 1987.
- 5- الثقافة الإسلامية، مجموعة من المؤلفين، دار المناهج، عمان، ط2، 1997.
- 6- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، الرياض، ط2، 1999.
- 7- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار السلام، الرياض، 1998.
- 8- العولمة الفكرية الإسلامية. عابد السفياني، بحث منشور. مجلة البيان. العدد 170.
- 9- العولمة وصراع الحضارات أ.د. جعفر شيخ إدريس. مجلة البيان. العدد 170.
- 10- الإعلام الإسلامي وتحديات العولمة. جمال سلطان. مجلة البيان. العدد 170.



- 11- فلسفة العولة. أ.د. عبد المجيد عمراي، بحث منشور.
- 12- القاموس المحيط، الفيروز أبادي. مؤسسة الرسالة. ط3. 1993.
- 13- لسان العرب، ابن منظور، ترتيب. يوسف خياط، دار لسان العرب.
- 14- مجموعة بحوث تدريس الثقافة الإسلامية في الجامعات المؤتمر الثالث لكلية الشريعة، جامعة الزرقاء. 25-2000/7/27.
- 15- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم. بيروت. ط1. 1992.

الهوامش

- 1- القاموس المحيط 486.
- 2- المفردات 262.
- 3- سورة المجادلة، الآية 1.
- 4- البياض 473/2.
- 5- لسان العرب 751/1.
- 6- سورة النحل، الآية 125.
- 7- سورة التوبة، الآية 129.
- 8- سورة آل عمران، الآية 85.
- 9- سورة الغاشية، الآية 17-20.
- 10- سورة المجادلة، الآية 1.
- 11- سورة الكهف، الآية 37.
- 12- سورة النحل، الآية 125.
- 13- سورة النساء، الآية 60-61.
- 14- سورة الروم، الآية 8.
- 15- سورة يوسف، الآية 108.
- 16- سورة القصص، الآية 83.
- 17- سورة القصص، الآية 77.
- 18- سورة النساء، الآية 82.



- 19- مسلم، باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق 4950.
- 20- سورة المائدة، الآية 52.
- 21- سورة القصص، الآية 77.
- 22- سورة الإسراء، الآية 29.
- 23- سورة الفرقان، الآية 67.
- 24- سورة الإخلاص.
- 25- سورة البقرة، الآية 21، 22.
- 26- سورة الحجرات، الآية 13.
- 27- سورة الملك، الآية 1، 2.
- 28- سورة الحج، الآية 78.
- 29- سورة البقرة، الآية 286.
- 30- سورة النساء، الآية 34.
- 31- البخاري، باب صب الماء على البول في المسجد رقم 220، 6128. ومسلم باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات رقم 660.
- 32- سورة آل عمران، الآية 159.
- 33- سورة الأحزاب، الآية 21.
- 34- سورة سبأ، الآية 28.
- 35- سورة يوسف، الآية 108.
- 36- سورة النحل، الآية 125.
- 37- سورة البقرة، الآية 269.
- 38- سورة الشمس، الآية 8-9.
- 39- سورة آل عمران، الآية 159.



تبرکات و خیرات و برکت و خیرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لَكَ شَاكِرِيْنَ

تَرْوِیْہُ وَاللّٰہُ یَسْمَعُ تَحَاوُرَ کَمَا

سوره المجادلہ، الایہ 01